سطو غير مسلّح

قطعت كفي
لم أعد في حاجة اليها
فمهنتي : صناعة الفخار .
وبعدما سطا اللصوص فوق الدار
وكسروا الذي صنعته في بطء
ونهبوا الالوان والذكرى ، وسرقوا النار
ودلقوا الاحلام والصلصال والشمسا
قطعت كفيّ التي قد شكلت :
آنية للماء
آنية للخمر
آنية للزهر
آنية للعطر
آنية للحب
في وضح النهار كان السطو
كانت وجوههم بلا لثام
هادئة ، متزنة . ماسحة بلا تعبير .
أعرفهم ، جميعهم
يمكنني أن أذكر الاسماء والصفات والمناصب
فوجئت عندما رأيت أصدقائي بينهم
وعندما حاولت أن ....
أسكتّ .
(لن أقول كيف !)
وهكذا قطعت كفي الاخرى .

لا تبتئس
يحدث هذا كل يوم
تصفح الجرائد اليومية ..
بحسبة بسيطة ..
عليك أنت الدور ـ حتما .
ربما غدا .. أو ذلك المساء ..
عندما تعود للزوجة ، والاطفال
لا تنزعج
يمكنني أن أذكر الاسماء .
هل تود أن تعرفها ؟

القاهرة — يسرى خميس

اذ اقول اني اكرهها . قتلوك في باحة بناء بيتك المتواضع في الحي الافريقي في روما . لماذا ؟ لانك فلسطيني ، فقير ، لا احد يحميه ولا احد يذود من حقوقه . المرة الاخيرة التي رايتك فيها ، لمحتك من بعيد وانت تسير الهوينا متابطا صحفك التي لم تكن تفارقك . قبلها بيوم ، بل في ليلة ذلك اليوم ، جمعنا الضجر والقرف في مسيرة ليلية تحدثنا فيها عن ذلك الصحفي وعن هذا الصحفي ، عن فلسطين وكيف تعاملها الصحف الايطالية . وكان عليك ان تنقل كثيرا مما قيل في تلك الصحف الى المنطقة التي كنت تمثلها في روما ، الى فتح ، وحدثتني عن قرفك من كل ما يكتبون ، من كل اكاذيبهم وما يلفقون . حدثتني عن قرفك حتى من استغلال الاصدقاء لصداقتنا وللتعاطف مع قضيتنا في سبيل مصالحهم الانتخابية والداخلية البحتة . من يبقى لنا ؟ ليس الا الله الى جانبنا هنا . ولم تنس ان تحدثني عن الله في تلك الليلة . ما احلى صوفيتك الحديثة التي كنت احسدك عليها . حدثتني عن مشاهداتك العلمية تحت المجهر عن الطبيعة الرائعة ، عن الطبيعة القاهرة . اي حنين الان الى تلك الوقفات التي كنت تقفها بين الفينة والاخرى ، توقفني وتقف لتكمل حديثك مستخدما يديك للتعبير ، تماما كما يفعلون في بلدي الحبيب.. اي حنين الان ...

وائل زعيتر . من اوفر الشباب العرب ثقافة في روما . يعيش في ايطاليا منذ سنوات قدم فيها للقضية الفلسطينية مالم تقدمه اجهزة بكاملها تملك من الوسائل المادية مالا يقاس بما كان بوسع وائل ان يحصل عليه لعمله . عمل على تنظيم مؤتمرات ومحاضرات وتظاهرات ، واشرف على اصدار جريدتي « فلسطين » و « فتح» بالايطالية . كان صلة الوصل بين المنظمات الفلسطينية في الوطن وبين الطليعة الفكرية في الغرب : من جان جنيه الى البرتو مورافيا .. قال له احد السفراء العرب مرة متهكما على مظهره غير«الانيق» (وهل انت سفير ؟) ، شكاها اليّ وائل والمرارة تحز في قلبه ، قال هاك ما بوسعنا انتظاره من الاجهزة الرسمية . عندما عقدت ندوة فلسطين في الكويت كان هو مرافق الوفد الايطالي الى الندوة ومنظم برامج هذا الوفد .

احتاجوا لقتلك ياوائل الى ١٢ رصاصة . يا لجسمك الرقيق والمسكين . يالنذلهم . ضربوك ياوائل برصاصتين في ظهرك وانت في طريقك الى المصعد في بناء بيتك ، وعندما التجأت والدماء تقطر من جراحك الى باحة البناء انهالوا عليك كالمجانين بطلقاتهم الوحشية الاخرى . وتمددت اعوامك الثمانية والثلاثون على الارض الرئة قرب اصص الزرع الخضراء . ورأى العالم بأجمعه صورتك المحزنة وانت متمدد ، تحت ابطك حقيبتك ، قرب جثتك الليرات العشر التي هيأتها للمصعد الكهربائي ، والى جانب يدك الاخرى عنقود عنب وقطعة الجبن والخبز التي حضرتها لعشائك الاخير .كان معك ايضا مجلة ـ كما هي العادة ـ وصورة اشعة لجسمك المسكين ، الممدد الان تحت انظار الطب التشريحي .

عشت فقيرا مع ان اموالا لا تحصى ولا تعد مرت بين يديك، كنت تأخذها وتدفعها بنفس اللامبالاة ، واقول بنفس الاحتقار.وكيف لك الا تحتقر النقود انت الجائع المعذب ، انت الصوفي الشرقي وابن عائلة من اعرق عائلات نابلس الصوفية ..

ماذا اراد الانذال من وراء قتل انسان مثلك ؟ هل هي سلسلة ارهابية جديدة ؟ كنت تحس بقرب موتك . هذا ما اكده جارك الايطالي الذي كان يراك وانت تكثر من التفاتاتك بينما تسير .

عيناك العسليتان البراقتان تطلان الان عليّ من عليائك ، وميضهما يؤكد لي جلال شهادتك ، وعمق نظراتهما يزيد في قلبي من هول المصيبة ولوعة فراقك لنا بهذه الطريقة المفجعة . لكني اتوجه اليك وبقلب صادق باطيب تهانيّ لهذه الشهادة الرائعة التي تمكنت من الاستئثار بها . كنت تقوم بواجبك وقد لقيت حتفك في سبيل واجبك .

قبل اشهر كنا نتحدث ياوائل ـ وبوسعك الان ان تذكر اكثر مما يمكن لاي حي ان يذكر ـ عن صراعنا مع اسرائيل . وقلت انت ان اسرائيل تهدف الى الابادة العربية وليس الى الاحتلال وحسب.كنت تشعر بحدس انباك بنهايتك المفجعة . لكن ابشر في عليائك . لا بد للامور ان تتغير . قبل ايام قلت لمورافيا ـ وكنت انت على قيد الحياة ـ ان قوة الظلم التوسعي لدى اسرائيل هي اقوى من قوة التعقل لديها ، وان تلك القوة فيزيائية . فاجابني مورافيا بحكمة « لا شيء يقف في الطبيعة ، هناك توسع وهناك تقلص » . وبعد كل توسع تقلص . فلتبتهل روحك الطاهرة من اجل انتهاء عهد توسعهم.. وليرحمك الله ...

نبيل المهايني